المحاضرة -١-

البدائل النظرية

١- الظاهرتية (الفينومونولوجية)

١-مفهوم الفينومينولوجيا أو الظاهراتية

هي العلم الذي يدرس الظواهر أو يطلق عليه بعلم ظاهرات الوعي والمعرفة أي كل ما يدخل في مساق الوعي، ويشهد لنفسه على منواله من الأفعال والانفعالات من الأفكار والاحساسات من المعطيات والأشياء إضافة إلى ذلك فهي تركز أطروحاتها الأساسية حول بناءات الخبرة، فظهور الأشياء في خبرتنا والطرق التي نختبر بها هذه الأشياء والمعاني التي تكتسبها الأشياء في خبرتنا جميعا مرتكزات معرفية أساسية في الظاهراتية فالأحداث والأدوات والذات جميعا تظهر في عالمنا المعاش[١].

الفينومينولوجيا أو الظاهراتية مدرسة اجتماعية استخلصت من الفلسفة الظاهراتية وتعتبر اتجاها في الفلسفة المعاصرة ظهرت خلال القرن العشرين، يرجع الفضل في نشأتها إلى الألماني "إدموند هوسرل" ١٨٥٩- ١٩٣٧ وتطورت على يد "ألفريد شوتر" الذي أدخلها إلى علم الاجتماع، تركز الظاهراتية بشكل معمق على تحليل ووصف الحياة اليومية لما يشاهد ويلمس منها أي تعنى بالظواهر المرئية والمحسوسة والملموسة المقترنة بأحداث الحياة البشرية الملتصقة بالمشاعر والأحاسيس بشكل خاص ركزت على الصفات الاجتماعية لذا فإن الفينومينولوجيين حاولوا فهم معنى الظواهر والأشياء ولم يهتموا بتفسير كيفية وجودها.

٢-القضايا الأساسية للظاهراتية

- تأكيد الفارق الهام بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية فدور عالم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي يختلف عن دور العالم الطبيعي في دراسة العالم المادي، فعالم الطبيعة يدرس ظواهر لا تتحذ بناء معرفي مسبق وبالتالي فهي لا تعرف القصد والارادة

[١] أنطون خوري: مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص ٣٥

كما أن علاقته بهذه الظاهرة علاقة خارجية تختلف تماما عن علاقة عالم الاجتماع بالظواهر الاجتماعية التي يدرسها[٢]

- تعارض الاتجاه الفينومينولوجي مع النزعة الوضعية حيث يؤكد هذا الاتجاه صعوبة الفعل بين العالم الاجتماعي من ناحيته وأساليب تفسيره وفهمه من ناحية أخرى
- نقد علم الاجتماع بسبب ميله إلى محاكات العلوم الطبيعية عند دراسة الواقع الاجتماعي الأمر الذي أفقد علماء الاجتماع القدرة على الاحساس بظواهر الوعي ولم يقتصر النقد على الموضوعات التي يهتم بها علماء الاجتماع بل تنطبق أيضا على المناهج التي يستخدمونها.

٣-الاسهامات التي قدمها رواد النظرية:

٣-١-ألفرد شوتر والظاهراتية:

يعتبر "ألفرد شوتر" من أبرز العلماء الذين نظّروا للظاهراتية ولد في فيينا، صدر له عمل وحيد عام ١٩٣٢م بعنوان "ظاهراتية العالم الاجتماعي" وبعد وفاته ظهرت أعماله في ثلاثة مجلدات بعنوان "أوراق مجموعة" عندما عاش في الولايات المتحدة الأمريكية تأثر بـ"جورج ميد" والنظرية التفاعلية الرمزية وكان إسهامه البارز هو مزج الظاهراتية الأوروبية بالتفاعلية الرمزية الأمريكية[٣] حاول تطبيق الظاهراتية في دراسة العالم الاجتماعي من خلال دراسة بعض أعمال "ماكس فيبر" (نظرية الفعل الاجتماعي والنموذج الأمثل)، وترتكز نظريته على مفهومين أساسين هما:

١- **التخلل الذاتي:** يقصد بها أن تداخل ذوات الفاعل لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد بل يتطلب حضور الآخر أولا وطرح أفكار وآراء يتم نقاشها ثانيا وتبادل التفاعل بينهم وبذلك يحصل تبادل المشاعر بينهم ومن ثم يحصل تبادل الذوات بين الفاعل والحضور وكل هذه الامور يجب أن تتم في فترة زمنية معينة وبقعة جغرافية معلومة الأبعاد، عند إذن نستطيع أن نقول لقد حدث التخلل الذاتي.

---

[٢] محمود زيدان: مناهج البحث الفلسفي، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٤، ص٦٥

[٣] جورج ريتزر: رواد علم الاجتماع، ترجمة مصطفى خلف عبد الجواد وآخرون، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، ط١، ١٩٩٣، ص ٣٠٣

٢- **النمذجة:** هي حكم ذاتي يتضمن معايير ذاتية اجتماعية تعكس تأثيرات المحيط الاجتماعي الذي يعيش في وسطه الفاعل وعلاقاته المتنوعة مع زملائه وأصدقائه وأقاربه وأهدافه الثقافية، باختصار النمذجة هي حكم الخلل الذاتي يستطيع الفاعل تشكيل نموذج فردي جماعي يفهم المتفاعل معه.

يختزل سيرته الذاتية أو سماته الشخصية أو نمط تفكيره أي يصفه بصفة تفسر مثلا السمات التي عثر عليها فيه، كأن يصفه بأنه طيب القلب أو حسود أو كريم

٣-٢-إدموند هوسرل وأزمة المعرفة العلمية

يعد"إدموند هوسرل" المؤسس التاريخي للاتجاه الفينومينولوجي الفلسفي الأصل حيث كان له الدور الرئيسي في نشأتها من خلال أعماله الفكرية التي نشرت في العقد الأخير من القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠م، فلقد جاءت تصوراته لتعكس وجهة نظر فلسفية جدية تعيد المجد القديم للفلسفة واعتبارها أم العلوم الحديثة، فلقد انتقد "هوسرل" مجموعة النزعات والنظريات الوضعية التي حاولت إخضاع الظاهرة الاجتماعية للدراسة الأمبريقية التجريبية بغض النظر عن حقائق وطبيعة هذه الظاهرة فنادى إلى ضرورة تبني المبادئ والمسلمات التي تؤمن بأهمية العقل والوعي في تفسير العالم الخارجي، ولا يفرض على هذا الوعي شيء لا يمكن إدراكه أو التحقق منه[٤].

٤-تقييم النظرية

وجهت للنظرية الفينومينولوجية مجموعة من الانتقادات كغيرها من النظريات السوسولوجية وهي بإيجاز:

- لم تخرج النظرية في تصوراتها على الظاهرة الاجتماعية عن نطاق النظريات السوسيولوجية الكبرى، بتركيزها على الأفكار، القيم، المعرفة، واعتبارها العناصر الأساسية التي تشكل النظام الاجتماعي.

[٤] أنطوان خوري: مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ط١، ١٩٨٤، ص ٦٥

- ارتبطت تصورات أنصار النظرية الفينومينولوجية بسوسيولوجيا المعرفة، ولم تخرج عن نطاق هذا الفرع المتخصص من فروع علم الاجتماع ولهذا لا ترقى إلى مستوى نظرية ولم تستطع طرح منظور متميز لدراسة النظام.
- الكثير من مفاهيم وتصورات النظرية غامضة وهذا ما تمثل في ضعف توضيحها للمفاهيم التي استخدمتها كمفهوم الحياة اليومية أو عالم الحياة وكذا الاختزال الفينومينولوجي للمعرفة.
- ارتبطت تحليلات النظرية بتصورات العديد من علماء التقليديين ولم تأخذ في الاعتبار محصلة الانتقادات التي وجهت إليهم.